المجلــة الأردنيــة للفنــون، مجلد 11، عدد 3، 2018. 223-229

الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي ونقد النزعة العنصرية

نصر جوابره، دائرة الوسائط المتعددة والجرافيكس، جامعة بوليتكنك فلسطين، الخليل، فلسطين.

تاريخ الاستلام: 2018/2/18 تاريخ القبول2018/3/29

الملخص

تعنى هذه الورقة بالكشف عن كيفية مواجهة الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي للنزعة العنصرية في الفكر والخطاب الجمالي للحداثه، وذلك بعد التأسيس لإطار نظري من ثلاثة مباحث الأول يحوي مدخلا عاما لمفهوم العنصريه، من حيث نشأتها وتطورها عبر التاريخ، والثاني يشمل المفاهيم العامة في الخطاب الجمالي لفنون الحداثة بالتركز علي ترسيخها للمركزيات الأوروبية (Eurocentric) وتقسيماتها الثنائية (binary) للهوية مما أسفر عن إنتاج بنى ثقافية مغلقة رسخت الإقصاء والتهميش للهويات غير الأوروبية والهويات الفرعية الأخرى، أما المبحث الثالث فيتناول دور الفكر ما بعد الحداثي في رفض البني الفكرية الحداثية كرفض التمركزات الغربية، وبالتالي تفكيك ثنائيات الحداثة الغربية وبالتالي مساهمة الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي في مواجهة النزعة العنصرية والعمل علي اعادة بناء الهويات المهمشة سواء الهويات السياسية والثقافية أو الهوية المؤسسة على الجندر، ودعوة الخطاب ما بعد الحداثي للانفتاح وللتهجين والتشظي والتعددية الثقافية، ومن ثم رصد الخطابات الجمالية والنقدية والمعرفية التي تقاطعت مع الفكر الجمالي ما بعد الحداثي.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، ما بعد الحداثة، الثنائيات، العنصرية، اللامركزية، التعددية الثقافية، الهوية.

Facing Discrimination Tendency in the Postmodern Aesthetic Discourse

Naser Y. A. Jawabra, Department of Multimedia and Graphics, Palestine Polytechnic University, Palestine, Hebron

Abstract

This article investigates how aesthetic postmodernist discourse faced racism in the modernist aesthetic discourse. Itconsists of functioning three sections. The first one introduces the general concept of racism- its origin and development through history. The second section deals with the general framework of aesthetic. modernist discourse, and emphasis it laid on the Eurocentric binaries of identity, which in turn, led to making closed cultural structures that marginalized and excluded non-European identities. The third section focuses on the role of postmodernist thought in rejecting these modernist Eurocentric thought structures, deconstructing modernist binaries and boosting the contribution of the aesthetic postmodernist discourse in facing racism and rebuilding the marginalized political, cultural or gender-based identities. By encouraging openness, by bridity fragmentation, plurality and multiculturalism. The article concludes by investigating the critical, aesthetic and intellectual trends which overlapped with aesthetic postmodernist thought.

Keywords: Postmodernism, modernism, aesthetic, identity, Eurocentric, racism, binary, multiculturalism, plurality

مقدمة:

لعبت العنصرية ونزعة الإعلاء والشعور بالتفوق الحضاري للذات مقابل الإحساس بدونية الآخر وتخلفه، مغذيا فاعلاً في إشعال التطرف وقيم الكراهية واللامساواة سواء بين مكونات وجغرافيا المجتمع الإنساني الواحد أو بين الحضارات والثقافات الإنسانية المتعددة، وهي التي طالما شرعت الحروب والصراعات والحملات الاستعمارية والإبادة المنظمة عبر التاريخ الإنساني ووظفت كمبرر ووسيلة للهيمنة على الآخر وإنكار هويته الوطنية وقوميته وثقافته....الخ.

منذ القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين، وفي سياق تنامي الروح القومية الأوروبية والنظرة الدونية للآخر، خاضت أوروبا مشروعاً استعمارياً دموياً لشعوبٍ وجغرافيا متعددة في قارتيّ آسيا وأفريقيا، إذ سادت النزعة الاستعمارية قرونا عدة مصحوبة بروح عنصرية ونزعة تفوقية من قِبل المستَعْمِرِ للمستَعْمَر، وتزامن ذلك مع مرور أوروبا بأدوار حضارية ونهضوية مختلفة لا سيما مشروع الحداثة والتنوير في القرن الثامن عشر، إذ تغذت العقلية الغربية على مقولات ورؤى فلسفية حول النهضة والذات والهوية الجمعية والخصوصية المعرفية والثقافية للإنسان الأوروبي، ممزوجةً بتلك الروح العنصرية والإعلائية والشعور بتفوق الرجل الأبيض في جميع سياقات المعرفة في السياسة والاقتصاد والعلوم والآداب والفنون وغيرها.

في سياق الفنون والآداب كان للروح العنصرية الغربية حضورها لا سيما في الموقف الفكري والجمالي لمشروع الحداثة والتنوير، الذي شكل حالة من الإنزياح نحو الداخل والإنغلاق نحو الذات والهوية الأوروبية، والوقوف موقف الرفض والإنكار لأي إنجاز فني أو أدبي من خارج السياق والثقافة الغربية، إلى أن انتهت الحقبة الاستعمارية ودخلت أوروبا منذ منتصف القرن الفائت إلى مرحلة ما بعد الإستعمار، كما دخلت طوراً ومرحلة فكرية وثقافية جديدة سُميت بما بعد الحداثة، حملت ملامح ومفاهيم مناقضة لمرحلة الحداثة وقدمت مشروعاً مُغايراً طال جميع سياقات وخطابات المعرفة ومنها الخطاب الجمالي، وكان من أبرز ما اتسمت به هذه الحقبة هو الدعوة للانفتاح الثقافي ونبذ الرؤية الانغلاقية المنطلقة من عنصرية الرجل الأبيض التي فرضها مشروع التحديث، وعليه سينطلق الباحث من خلال هذه الورقة لتأطير الآلية والبواعث التاريخية والفكرية التي قامت عليها الرؤية والخطاب ما بعد الحداثي وتحديدا الخطاب الجمالي لغرض التصدي للنزعة العنصرية الحداثية وذلك من خلال سؤال البحث التالي: كيف تصدى الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي لنزعة التحيز والعنصرية في الحداثة الغربيه؟

المبحث الأول: النزعة العنصرية، مدخل عام للمفهوم

التمييز والعنصرية نزعة فردية واجتماعية سلوكية بدأت مع الانسان منذ القدم، وتحديداً منذ الانقلاب التاريخي والحضاري للشعوب البدائية وانتقالها من عصر الاقتصاد الاستهلاكي إلى عصور الاقتصاد الانتاجي (عصر الزراعة)، حين سمحت النُظم الاقتصادية الجديدة بكسر العلاقة النمطية بين الطبيعة والإنسان، فبعد أن كانت المجتمعات المَشاعية تعيش تحت سطوة الطبيعة بوحدة واحدة متضامنة في مواجهة أخطارها وتهديداتها، أخذت تلك المجتمعات بالتحرر من عبوديتها للطبيعة والتَكَيُف مع أحكامِها لتنتقل إلى نمط جديد من العلاقة تسمح لها بالسيطرة عليها ومحاولة تكييفها وفقاً لاغراض المجتمعات وحاجاتها، فكان لظهور الإقتصاد (الريعي) ونزعات المُلكية والهيمنة من ثم ولادة البذور الأولى لنظام الدولة بشكله البدائيّ وغيرها من المستجدات، الدور الكبير في تشكُل أولى الممارسات العنصرية التي تأسست بمُجملها كنتيجة لتحول المجتمعات البدائية من مرحلة النُظم الأمومية (Matriarchal) واستبدالها بما يسمي بالنُظم الأبوية (البطريركية-Patriarchal) في صورتها الأولى. (Kraemer, 1991:P. 377–392)، و(Lerner 1987: P.20-35،)، وبانتقال المجتمعات إلى مفهوم السلطة الأبوية الذكورية بدأت تتشكل ملامح التمييز والعنصرية كنزعة تجاه الآخر في متوالية غير منتهية، بدءاً من التمييز ضد المرأة الجينوفوبيا (gynophobai) مروراً بعصور الرقِ والعبودية وتجارة الأجساد، وصولاً إلى العنصرية الدينية في القارة الأوروبية في القرون

الوسطى، وليس إنتهاءً بالحملات الاستيطانية وحروب الدول الاستعمارية ومجازر إبادة السكان الأصليين في العصر الكولنيالي، إلى ما تشهدة اليوم عصور ما بعد الكولونيالية من مظاهر العنصرية بين شعوب الأرض بصورها المختلفة.

يتأسس السلوك العنصري بصورته الجماعية على أيديولوجيا تعتقد وتؤمن بإمكانية تقسيم البشر إلى مجموعات تتراتب وتتمايز في القدرات الفطرية الجينية والسلوك الاجتماعي (Newman,2012,405). وتَتخَلق هذه العقيدة نتيجة لمُعطيات فكرية واجتماعية وتاريخية ووجدانية تؤسس لوعي بنخبوية الذات الجماعية وفَرَادتِها ومُفاضَلتِها عن باقي الجماعات، كما تتغذى عقيدة التمايُز على تعميمات وتنميطات وتلفيقات علمية عن الآخر، الأمر الذي يُرسخ شعوراً بالتفوق والتمايُز والإنحياز إلى الهوية الجمعية، ويدفع نحو شرعنة ممارسات الإقصاء والتهميش والإلغاء للمُختلف والمُغاير في جميع قطاعات الحياة وسياقات المعرفة، وقد تعددت أشكال وأنماط النزعة والسلوك العنصري في الدراسات والبحوث المتخصصة لتشمل بواعث متعددة كباعث العرق واللون والنسب أو الأصل القومي أو الإثني والدين واللغة والإنتماء الثقافي وكذلك العنصرية الموجهة ضد المرأة وغير ذلك من أشكال ومسببات عرقلة الاعتراف بالآخر وعدم الإيمان بقُدراتِه، وبالتالي غياب المساواة معه في الحقوق والحريات الأساسية في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي وغيرها من الميادين (Welwel، 2004:p7، 8).

المبحث الثاني: مظاهر العنصرية والتَحيُز في الخطاب الجمالي الحداثي.

في سياق تقويضها للميتافيزيقيا ووصايتها على العقل، تبنت الحداثة الغربية مشروعاً نهضوياً بديلاً تأسس على البحث العلمي والتجريبي، قوامه الإنتصار للعقل الإنساني والإيمان بطاقتة كقوة قادرة على الخلاص من قيود الخُرافة والتفسيرات الغيبية للوجود، بهدف السعي لتحقيق نهضة علمية ومعرفية تقود الحضارة الغربية نحو الحُرية والمدنية والتقدُم في جميع المستويات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد تُوجَ مشروع الحداثة بعصر التنوير في القرن الثامن عشر والذي نادى إلى رفع الذات الانسانية وفردانية الانسان إلى مركز العالم وقد تَجسدَ ذلك عبر عدد من الإسهامات العلمية والفلسفية من قِبل فلاسفة وعلماء حُشدت أفكارهم وأطاريحهم لسلطة العقل استكمالاً لمشروع التحديث الغربي ومن بينهم: "عالم الرياضيات اسحق نيوتن الذي رأى بالعلم منقذاً للبشرية، وكذلك الفيلسوف رينية ديكارت، ومؤخراً الفليسوف امانوئيل كانت الذي جسد عصر العقلانية بإيمانه بالعقل وقدرتة على إنتاج حقائق كُلية وشمولية عن العالم، إضافة لمجموعة من قادة الحداثة السياسيين الذين دافعوا عن العقل ورأوا فيه مصدراً للتقدم والتغيير الإجتماعي وتحقيق العدالة والمساواة في النُظم الإجتماعية... الأمر الذي أسس لمشاريع حداثوية كالديمقراطية والرأسمالية والتصنيع والعلم والمدنية تحت راية الحداثة وشِعارُها الحُرية والفردية". (Hutchens and Sugg p17 ،1997).

نجحَ الإيمان المُفرط بالعقل عند الحداثيين في تقويض مركزية الدين والكنيسة ومشروع الوحدانية المسيحية في تَصوره للخلاص البشري، واستطاعوا ان يحققوا مشروعاً وخِطاباً حداثوياً تجديدياً انعكس على مُجمل الحياة والحضارة الغربية في السياسة والصناعة والإجتماع ...الخ، كذلك في مُجمل سياقات الإنتاج الثقافي بالأدب والإعلام والفنون وغيرها، إلا ان تلك الخطابات الحداثوية قد انزلقت بما بات يُسمي بتمركزات العقل الغربي، أو بما بات يُعرف مؤخراً بالسرديات الكُبرى تلك الروايات الشمولية حول التحديث وإنتاج المعرفة التي لا تقبل وفقا للعقل الحداثي أي نوع من المراجعة والنقد، كما لا تؤمن بأية معرفة تأتي من خارجِها، وكان من أبرز تلك المشاريع والسرديات التي أنتجتها التصورات الحداثية وفقا لحنا عبود "المشروع الاقتصادي والمساواتي والنخبوي والقومي والتعاوني والعالمي والسلفي والديمقراطي والليبرالي والاشتراكي، ... إلخ." (عبود،1989،245)، إلا أن تلك المشاريع والسرديات وغيرها لم تخل من شوفونية

(chauvinism) وانحياز نحو الهوية الغربية، "فرغم أن الحداثة قد قدمت نفسها كمشروع كوني وشمولي استهدف الجنس البشري إلا انه قد أخفى بين طياتة مجموعة من القيم المتضمنة إيماناً مُطلقاً بمركزية العقل الأوروبي ووصايتة على العالم تحت ستار العالمية وادعاء الموضوعية والتجرُد" (Peter ،Marshall:2005 and).

وفي سياق تمركُزات العقل الغربي أفرز الفكر الحداثي نظاماً هرمياً ضم مجموعة من المقولات المركزية الكُبرى أسست للعلاقة ما بين الذات – الأنا الغربية والآخر، عُدت بُنيات أساسية في قراءة الهوية من منظور تفاضلي ألقى بظلاله على جميع سياقات المعرفة وأشكال إنتاج الثقافة وتكوين الهوية الحضارية والفكرية للإنسان الحداثي، تلك الهوية التي ادعت تماسُك ووحدة وعقلانية الذات الغربية مقابل هويات وروايات هامشية غير قادرة على إنتاج المعرفة وتحقيق التقدُم، وجاءت تلك الأبنية الهرمية "عبر ثُنائيات ضدية تمتاز بها الأولى عما يقابلُها، كالرجل أو المرأة، والأبيض أو الأسود، والمستعمِر بالكسر، المستعمَر بالفتح، والعقلاني أو غير العقلاني، والمستقيم أو الشاذ، والفعال أو غير الفعال، والذات أو الموضوع... الخ". (L.Show:2007).

في سياق الفنون والأداب الحداثية، كان لتلك السرديات والثُنائيات والتمركُزَات العقلية حضور واضح في الإنتاج الجمالي والإبداعي والذي بدا كأنه أنموذج عقلاني صارم تضمن مفاهيم جمالية مُوحدة تحكُمه القوانين العقلية للرَجُل الأبيض، التي ترفض أية رؤية جمالية من الخارج تتعارض مع ذلك الأنموذج الجمالي، فظهرت المدارس الفنية الحداثية تباعاً، والتي وإن تعددت في الرؤية إلا أنها ولدت مُتسقة مع تلك الروح العقلانية والرواية الحداثية في بحثِها عن القوانين التي تحكُم الفعل الجمالي، قوانين وضَعَ أُسسها الفيلسوف الحداثي "امانوئيل كانت منذ عام 1770 في كتابة نقد الحكم في حديثه عن وظيفة المُتلقي ودور العقل في الإدراك والحُكم الجمالي بعيداً عن المرجعيات الخارجة عن العمل الفني، كذلك الوظيفة الجمالية الخاصة للفنون بعيداً عن الأهداف الأخلاقية والدينية وغيرها، تبعِه إدوارد بوليف (Edward Bullough) في فلسفته التي تمحورت حول تأمُل الفن في ذاتة وفي عام 1920 ظهرت النظرية الشكلية للناقدين البريطانيين (Clive bell وRoger Fry) وفي عام (1930) وجَدَت النظرية الشكلية صداها في النقد الأدبي الحداثي عند الناقد اليوت وغيرهم" (Hutchens and Sugg:1997,22).

المبحث الثالث: مناهضة العنصرية في الخِطاب الجمالي ما بعد الحداثي

على الرغم من الجدل والحوار الفكري والفلسفي المحتدم بين الكثير من أقطاب الفلسفة الغربية المُعاصرة حول المشروعية الفكرية والمفاهيمية والدلالية لمُصطلح ما "بعد الحداثه" ومدى صحة تداوله لتوصيف الحُقبة الزمنية التي تعيشها الحضارة الغربية منذ سنوات الستينات من القرن الفائت والى الآن، والمُتمثل بفريق يؤمن بحقيقة المُصطلح وكفاءتة في وصف المتحولات الفكرية والمفاهيمية في المجتمع الغربي المُعاصر، وبين فريق آخر لا يرى في تلك المُتحولات سوى امتداد طبيعي لروح الحداثة ومشروعها العقلاني الذي لم يَمُت بعد. (Jawabra:2013, 30,31) يرى الباحث أن هذا المُصطلح قد أخذ يتجذر في الوعي والفكر الغربي المُعاصر في جميع سياقات المعرفة عامة، وفي الإنتاج الثقافي والإبداعي على جهة الخصوص وعلية سوف يتَبني مُصطلح "ما بعد الحداثة" في حديثه حول الفكر الجمالي الأوروبي بعد سنوات الستينات، وسوف يتم التركيز في هذا المُحور من الورقة على المُفارقات السلوكية بين المفهومين، أي: الحداثة وما بعدها، في إطار خدمة الهدف البحثي وهو الكشف عن الكيفية التي تصدي بها الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي لنزعة التحيز والعنصرية في الحداثة الغربية التي يرى الباحث تأسيساتها في محورين رئيسين تظهر بوضوح في محاور المعارضة والتناقض بين المفهومين وهما:

أولاً: نقد ما بعد الحداثة للتمركزات العقلية الغربية وبالتالي رفضِها للسرديات الحداثية الكُبرى.

ثانياً: تفكيك ما بعد الحداثة للأبنية الهرمية الحداثية وثُنائياتها التي تأسست عليها الثقافة الغربية قرونا وساهمت في صياغة جوهر وروح الحضارة الغربية مُنذُ عصر النهضة إلى مُنتصف القرن الفائت.

أولاً: ما بعد الحداثة والسرديات الكُبرى.

شكل نقد السرديات الكُبرى عموداً هاماً في البناء المعماري العام لفِكر ما بعد الحداثة، كما مثل سلاحَها الفاعل في هجومها المدمر على فكرة العقلانية الغربية وقدرتِها على إنتاج مشاريع شمولية قادرة على تحقيق التقدُم والتطَور والخلاص البشري، وكان ذلك عبر أول كتاب قام بطرح فكر ما بعد الحداثة كحركة فكرية وثقافية مُميزة ومناهضة لفكر ومشروع التحديث بصورتة الغربيه، وهوكتاب "حالة ما بعد الحداثة" للمفكر الفرنسي "جون فرانسوا ليوتار" والذي صدر في العام (1979) (Kevin, 2003, 4) إذ عَد الفيلسوف ليوتار تلك الروايات الكبرى شكلاً من أشكال السلطة المعرفية التي عززت من النزعة الأبوية الذكورية للرجل الغربي، وغذت لدية قيم العنصرية والإقصاء لأي رواية في أي حقل من حقول المعرفة قد يأتي من خارج سياق الثقافة الغربية، على اعتبار أن روايتة كحداثي تتسم بالمركزية في حين باقي الروايات هي روايات هامشية ومُعيقة للتقدم والتطور الحضاري، إذ يري ليوتار أن: "السرديات الكبرى هي ذلك النمط من الخطابات التي تتمركز حول افتراضاتِها المسبقة، ولا تسمح بالتعدُدية والاختلاف حتى مع تنوع السياقات االاجتماعية والثقافية، فضلا عن أنها تنكر إمكانية قيام أي نوع من أنواع المعرفة أو الحقيقة خارجها وتقاوم أي محاولة للتغيير أو النقد أو المراجعة. وتقف تلك الخطابات أو السرديات الكبرى خارج الزمن ولا تسمح بالشك في مصداقيتها وتصر على أنها تحمل في داخلها تصورات شمولية للمجتمع والثقافة والتاريخ والكون. ودائما ما تكون السرديات الكبرى ذات طبيعة سلطوية وإقصائية تمارس التهميش ضد كل أنواع الخطابات الأخرى الممكنة" (الطائي ابورحمه، 2011، 94-95).

ثانياً: مابعد الحداثة والثُنائيات الحداثية

وقفت ما بعد الحداثة موقفاً رافضاً للأبنية الهرمية الحداثية وبما تضمنته من ثُنائيات، ورأت فيها نزعة عنصرية لا إنسانية حاولت أن تُعزز الرواية الحداثية التي ادعت تفوق العنصر الأبيض وثقافته على باقي الثقافات الفرعية في العالم، كذلك على بعض مكونات المجتمع الأوروبي نفسه كالمهاجرين والأقليات والمرأة والمثليين.....الخ، ومارست عليها القمع والتهميش وإنكار هويتها الثقافية، وعليه تحول الوعي الغربي من مفهوم التجانس والمركزية في عصر التحديث إلى مفهوم التشظي واللاتجانس واللامركزية في عصر ما بعد التحديث، و"أصبحت نظرية الثقافة الهجينة كنظرية بديلة للطرح ما بعد الحداثي الذي يؤمن بالتعددية الثقافية" (multiculturalism،Vol. 5 ،Petrunic: 2005 No. 1.P2).

وعلى هذا التأسيس قدم الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي مشروعا جماليا مُغايرا ومُنافيا للأسس التي بُنيت عليها الجمالية الغربية بكُل ما شابَها من روح عنصرية وتحيز للذات وللهوية الثقافية الغربية حين فرضت نفسها كرواية كبرى أُحادية لا تقبل النقد والمراجعة، وكسرد تاريخي انطلق من مركزية الذات الأوروبية التي احتقرت أية سرد أو مركزية جمالية من خارج سياق تلك الذات واعتبرته هوامش لا يمكن أن يُنتج رؤى جمالية ذات معنى، بذلك رفضت فنون ما بعد الحداثة تحيُزات الحداثة وقيودها المبنية على افتراضات وثوابت مُسبقة للانتاج الفني وعملت على تبني المُخالف والمُغاير لتلك السرديات ورفعت شعار التعدُدية الجمالية واللاتجانس والتهجين كمشروع مُناقض للوحدة والتجانس، وتجلى ذلك في احتفال الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي بالثقافة الجماهيرية كذلك بالفنون القادمة من خارج الثقافة الغربية.(Irvine: 2013)

من جهة أُخرى وفي محاولة للوقوف على الدوافع والبواعث التي أدت إلى انتقال مشروع الحداثة في الفنون من إطار البُنية المُغلقة والتمركز نحو الهوية الغربية، والتوجه نحو البُني المفتوحة وتقبُل واحترام فنون الثقافات الفرعية داخل المجتمع الأوروبي وخارجه، نجد تلك البواعث تتُطابق في أحد أوجهها مع البواعث

والمتغيرات التي ساهمت في انتقال تلك المجتمعات من ثقافة الحداثة إلى ثقافة ما بعد الحداثة، وتُمثل الحروب والهجرة أولى تلك الدوافع من حيث الأثر المباشر للحروب في توفير فرص الاحتكاك بين الثقافات مما يؤسس فضاءً للحوار والتثاقُف وتقبُل الجديد، إذ "كان للحرب دور رئيسي فاعل في تفكيك مراكز الحضارة والتجمُعات الثقافية والفنية في عواصم أوروبية كثيرة كباريس، ميلانو، ميونخ ولندن... الخ التي شكلت معاقل لفنون الحداثة في النصف الأول من القرن العشرين وأحدثت الحرب إزاحة قسرية لهذه التجمعات التي أخذت تبحث عن ملاذ آمن وجدته في القارة الامريكية آنذاك، فمنذ عام 1930م وصاعداً تأثرت مدينة نيويورك بموجات متتابعة من الفنانين الأوروبيين المهاجرين من العنف النازي، وقد تم استقبالهم بسهولة واندماجهم بالثقافة الجديدة التي كانت قد امتلأت أصلاً بالوافدين الأوروبيين" (67 (Jawabra, 2013,

أما الباعث الآخر فيتمثل بالثورة المعرفية والتقدُم التكنولوجي، من حيث دورهُما البارز في مشروع العولمة وتحويل العالم إلى قرية صغيرة، تتقلص به المسافات وتتفكك فيه المراكز الحضارية والثقافات لصالح ثقافة عالمية واحدة، إذ ساهم عصر المعلومات وانتشار المعرفة مُساهمة فاعلة في "إعادة تعريف الهوية والدولة القومية التي نشأت في عصور الحداثة؛ بعد أن تم انتشار الصور والمعلومات خارج نطاق حدود الدولة الوطنية، وحدث شعور عالمي بتآكل أو انهيار الهويات القومية واللغوية والعرقية والثقافية؛ وتَولدَ شعور جديد بإختلاط الثقافات في مجتمعات ودول عصر المعلوماتيه". (Irvine،2013) إذ مارست التكنولوجيا من خلال انتشار شبكة المعلومات، فعلاً إجبارياً على التحاور والتثاقُف والانفتاح ما بين فنانين من هويات وقوميات متعددة ومن ثقافات فرعية مختلفة وفي حقول إبداعية شتى في الأدب والرسم والموسيقا والتصوير وغيرها، مما أنتج بنى فنية هجينة ذابت بها الهويات القومية واختلطت فيها الأساليب وطُرق التعبير فأصبحت فنون ما بعد الحداثة فنونا تنسجم مع الروح العالمية لا فنونا تتحيز إلى ثقافة دون الأُخرى. (Irvine,2013).

من جهة أخري كان لولادة بعض النظريات والتيارات الفكرية والنقدية التي أنتجتها الثقافة الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، والتي شكلت نتيجة لتقاطعها وتشاكلها مع مشروع ما بعد الحداثة إطاراً نظرياً وخِطاباً معرفياً، كان له الدور البارز في تكريس الوعي حول دخول الغرب حقبة جديدة تفككت فيها الهوية بمفهومها المركزي الغربي لصالح هويات فرعية، وبالتالي جسدت كخطابات نقدية وجمالية داعما رئيسا للخطاب الجمالي ما بعد الحداثي وكان ومن أبرز تلك التيارات:

1. **ما بعد البُنيوية:** وهي نظرية في النقد الأدبي تتقاطع في الكثير من جوانبها مع الفكر الجمالي ما بعد الحداثي في سياق تناقض مع مفهوم الحداثة لا سيما التمركز حول الهوية والثقافة الجمالية الغربية، فقد وصفتها (Catharine Belsey) بأنها مدخل نظري لتعزيز مفهوم المُخالفة والمُغايرة، ورأت فيها (Sara Mills) توجها فلسفيا نحو هدم مفهوم المركزية الحداثية 2013، (Otani,2013, 52) من هذا الفهم نجد أن النظرية ما بعد البُنيوية لا تؤمن بصيغة فنية جمالية تفرض ذاتها على جميع الثقافات والشعوب والأعراق بل "تؤمن بأن العالم مُتجزء ومُتشظ على الصعيدين الثقافي والجمالي فهو نسق يتكون من ثقافات فرعية وان مُحاولة التوحيد بين هذه الثقافات هوضرب من الغباء" (Cantor,1988, 345).
2. **التفكيكية:** ترتبط النظرية التفكيكية على نحو وثيق مع فكر ما بعد الحداثة، لا سيما في رفضها للثُنائيات المُتعارضة، وعلى وجة الخُصوص تلك التي تطرح الهوية الغربية في سياق مركزي رافض للثنائيات الفرعية، ويتجلى ذلك في دعوة فيلسوفها جاك دريدا المُتمثلة في تقبُل مفهوم المُخالفة والمُغايرة في السياق الثقافي ودعوته إلى احتضان الثقافات الفرعية في المجتمعات الغربية من الأقليات والمهاجرين (Pera. 2004, 2)، من جهة أُخرى يتجلى الطرح التفكيكي المُناقض للنزعة العنصرية في سياق تفسير المعنى للنص الإبداعي بوصف الأدب والفنون نصوصا أنتجتها ثقافات مختلفة ليس بإمكاننا الوصول إلى

معنى مُحدد أو من خلال النص وعلاقاتة الداخلية، إذ يرى دريدا ان: "المعنى ليس محكوماً حُكماً داخلياً في اللغه، بل محكوماً برؤية وتفسير المُتلقي المبني أساساً على الاختلاف واللاتجانس لا محصورا بثنائيات متعارضة أو بالاضطهاد التي تمارسة الهرمية حين تُقصي وتهمش المُخالف"(Hogue, 2013,3) .

3. **ما بعد الكولينيالية:** تشتبك ما بعد الكولنيالية مع الرؤية الفلسفية لما بعد الحداثة وهي كنظرية نشأت في الدراسات الثقافية ما بين 1950 و1960 من خلال رائديها (Franz Fanon وAlbert Memmi) وتتمثل بنقد ثقافة الحداثة وعلى وجة الخصوص النزعة الاستعمارية لدول أوروبا في تلك العصور، تُناقش في بحوثها ودراساتها مفهاهيم الأُمة والهوية الوطنية والقومية وهوية الأقليات العرقية والاثنية والدينية والثقافية ونظرة المستعمرِ للمستعمَر والهيمنة الثقافية والمركز والهامش وغيرها مما يتصل بمفاهيم العنصرية والإقصاء والتهميش. (Bolecki and Przeł :2014، p57-59) تُشكل دراسة تاريخ الفنون والآداب في حُقبة ما بعد الاستعمار هامشاً كبيراً في دراسات وبحوث نظرية "ما بعد الكولنياليه" وتُناقش موضوعة الهيمنة الثقافية الحداثية (للمستعمرِ)بوصفها نزعة عنصرية مركزية همَشت فنون وآداب الآخر المستعمَر (Piotrowski,2014) .

4. **النظرية النسوية:** تيار فكري اجتاح الحياة الثقافية للغرب مُنذ أواخر السبعينيات وارتبط على نحو وثيق مع فكر ما بعد الحداثة، إلى حد صعوبة الفصل بينهما أو تحديد أيهما كان نتيجةً للآخر، ففي حين "تزعُم هيشتون أن ما بعد الحداثة بوصفِها حركة تغير من خلال اهتمامها بالاختلاف والهوامش قد تشكلت من خلال النسوية، وفي حين يزعُم كثير من المُعلقين أن العكس هو الصحيح أي أن النسوية هي النتيجة المُباشرة لازدهار ما بعد الحداثة" (ابورحمه: 2014، 73)، وقد أفرزت الحركة والنظرية النسوية ما بات يُعرف بالفن والجمالية النسوية الذي تتأسس على نقد المركزية والأبوية الحداثية، إذ عَدت فنون ما بعد الحداثة بمثابة انتصار على تلك الهرمية الحداثية كما هي انتصار للهويات السياسية والثقافية الفرعية (Woods ،1999, 134) .

الخلاصه:

1. مثل كل من رفض التمركزات العقلية الأوروبية وتفكيك الثنائيات والابنية الهرمية والروايات الأوروبية الكبرى بما حملته من نزعة عنصرية واعلائية لقيمة الرجل الأبيض، مثلت الآلية الفكرية التي اشتغل عليها الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي لتقويض الجمالية الحداثية وبالتالي تقويض ومحاربة نزعة العنصرية والتحيز، والانتقال بالخطاب الجمالي الأوروبي من الوحدة والتجانس إلى اللاوحدة والتشظي والى عدم التجانس.
2. احترام الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي للهويات الفرعية ومنها الهويات اللاتنية والعرقية داخل المجتمع الأوروبي وكذلك المراة كهوية، التي طالما مورست عليها العنصرية في الخطاب الجمالي الحداثي.
3. شكلت المتحولات التاريخية في القرن العشرين والمتمثلة بالحروب وحركات الهجرة، كذلك، ظهور الثورة التكنولوجية والمعرفية بواعث مهمة في بناء المشروع الفكري ما بعد الحداثي، كذلك شكلت ركائز هامة في البناء المعماري الجمالي ما بعد الحداثي من حيث توفيرها فرص الاحتكاك بين الشعوب والأقليات وتقصيرها المسافات بين البلدان وتوفير الفرصة للاطلاع والتبادل الثقافي والمعرفي مع الآخر، بالتالي خفض منسوب العنصرية والانغلاق على الذات والهوية الثقافية الوطنية والقومية.
4. ساند الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي مجموعة من التيارت الفكرية والنقدية التي ولدت في غرب ما بعد الحرب كتيار ما بعد البينيوية وتيار التفكيكية وما بعد الكولنيالية وكذلك التيار النسوي، بما حملتة تلك التيارات من مفاهيم نقدية وجمالية تشاكلت وتعالقت مع الخطاب الجمالي ما بعد الحداثي، من حيث رفضها الفكري -أي مجموع هذة التيارات بالإضافة لما بعد الحداثيه- رفضها للمركزية والأبوية والأبنية

الهرمية والروايات الحداثية وبالتالي رفضهم للنزعة العنصرية وانحيازهم للهوية والثقافة الإنسانية المتعددة.

المراجع

1. ابورحمه، أماني: (2014) **أفق يتباعد، من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة**، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا.
2. الطائي. معن وأبورحمه، أماني(2011): **الفضاءات القادمة: الطريق إلى بعد ما بعد الحداثة**، ط1 مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة.
3. عبود، حنا: ط1 (1989): **الحداثة عبر التاريخ، مدخل إلى نظرية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب،، دمشق.
4. Cantor ،N F: (1988) Twentieth Century Culture: **Modernism to Deconstruction**، New York، Peter Lang،
5. Hogue ،Lawrence: (2013) Postmodernism، **Traditional Cultural Forms، and African American Narratives**، published by state university of New York press ،United States of America ،
6. Hutchens، James W.and Stevens Sugg ،Marianne: (1997) **art education content and practice in a postmodern era**، National Art Education Association.
7. Irvine ،Martin: **The Postmodern""Postmodernism""Postmodernity"Approaches to Po-Mo، Communication، Culture & Technology Program Georgetown University** ،From http://faculty.georgetown.edu/irvinem/theory/pomo.html (23-10-2016)3:00 PM
8. Jawabra ،naser: (2013) **Postmodernist Artistic Trends And Its Influence In Contemporary Palestinan Ar**t ،PhD dissertation ،university of Granada ،Faculty of fine arts ،Spain، unpublished.
9. kevin.j. Vanhoozer: (2003)**The Cambridge Companion to Postmodern Theology، Cambridge university press**، united kingdom
10. Kraemer، Sebastian: (1991) "**The Origins of Fatherhood: An Ancient Family Process". Family Process.**
11. L.Shaw.Barbara: (2007) (**Remapping the Black Atlantic: Violence، Affect، and Subjectivity in Contemporary Caribbean Women's Migration Literature** ،PhD dissertation، University Of Maryland. Unpublished.
12. Lerner، Gerda: (1987) **The Creation of Patriarchy**، Oxford University Press، New York.
13. Newman، D. M. (2012). **Sociology: exploring the architecture of everyday life** (9th ed.). Los Angeles: SAGE
14. Otani ،Akifumi: (April 13، 2013) **Textbooks in unification science، Unification Ethics of True Love**، Unification Thought Institute، Second Edition،

15. Pera، Marcello: (10 February 2004) **Multiculturalism and the Open Society**، Popper Memorial Lecture London School of Economics
16. Peters ،Michael and Marshall James: (2005) **Individualism and Community: Education and Social Policy in the Postmodern Condition**، Routledge falmer.
17. Petrunic، Ana-Marija: (2005) **No Man's Land: The Intersection of Balkan Space and Identity**، history of intellectual culture Vol. 5، No. 1 ،
18. Piotrowski ،Piotr: ،(August 12، 2014) **East European Art Peripheries Facing Post-Colonial Theory** ،Adam Mickiewicz University From http://nonsite.org/article/east-european-art-peripheries-facing-post-colonial-theory (26-10-2016-12:40AM)
19. Welwel، Li: (2004) **Equality and Non-Discrimination Under International Human Rights Law**، Norwegian Centre for Human Rights، University of Oslo،
20. Włodzimierz Bolecki and Przeł. Jan Szelągiewicz(2014) **Postcolonialism and Modernism، cintrum humanistky cyfrowe**j، Teksty Drugie، Piotrowski،
21. Woods ،Tim (1999) **Beginning Postmodernism**، Manchester University Press.New York.